الاضطراب التعليمي وجهوزية الامتحانات:

وضع طلاب الصف الثاني عشر في لبنان لعام ٢٠٢٥

محمد حمود

٢٠٢٥

المقدمة

لا يزال لبنان تحت وطأة أزمات متراكمة أثرت بشكل بالغ على قطاع التعليم. فقد أسهم تصاعد العدوان الإسرائيلي بين أيلول وتشرين الثاني ٢٠٢٤ في تعميق الانقطاعات التعليمية التي تراكمت في العام الدراسي ٢٠٢٤–٢٠٢٥. أدى ذلك إلى تهجير أكثر من مليون مدني، وتعرّض المدارس إما لأضرار مباشرة أو لتحويلها إلى مراكز إيواء. ووفقاً لبيانات وزارة التربية والتعليم العالي، فقد طال التأثير المباشر للعدوان نحو ٥٠٠ ألف طالب ومعلم وموظف إداري (وزارة التربية، ٢٠٢٤). وقد اقتصر تدخل الدولة بشكل أساسي على تحويل المدارس إلى مراكز لإيواء النازحين دون خطة واضحة لضمان استمرارية العملية التعليمية. ونتيجة لذلك، تم تحويل ٦٣٨ مؤسسة تعليمية (أي ما نسبته ٤٣٪ من مجموع المدارس) إلى مراكز إيواء. كما أُشير إلى أن حوالي ٤٠٪ من المؤسسات التعليمية كانت تقع في مناطق غير آمنة أو يصعب الوصول إليها، ما أسفر عن بقاء ٣١٠ مؤسسات فقط قيد العمل في تلك الفترة (وزارة التربية، ٢٠٢٤).

وقد انعكست هذه الاضطرابات بشكل خاص على الطلاب المقيمين قرب الحدود الجنوبية أو في المناطق الأكثر تأثراً بالعدوان، مثل الضاحية الجنوبية لبيروت، ومحافظة البقاع، ومحافظة بعلبك. كثير من هؤلاء الطلاب حُرموا من التعليم الحضوري واضطروا للاعتماد على وسائل تعليمية عن بعد مثل "واتساب"، وهو ما حدّ من فرص التفاعل والمصادر التعليمية المتاحة. ونتيجة تكرار إغلاق المدارس منذ بدء الاعتداءات الإسرائيلية في تشرين الأول ٢٠٢٣، أصبح كثير من الطلاب في المناطق الأكثر تضرراً يواجهون الانقطاع عن التعليم لسنتين متتاليتين، ما أدى إلى تراكم الفاقد التعليمي لديهم وتعميق الفجوات الأكاديمية.

في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى تقييم مدى جهوزية طلاب الشهادة الثانوية الرسمية لخوض الامتحانات الرسمية وفهم حجم التحديات الراهنة. وتأتي هذه الدراسة، التي تُجرى للسنة الثالثة على التوالي وضمن جهد رصدي متواصل منذ ٢٠٢٠، لتسلّط الضوء على واقع الطلاب وتوفر تقييماً مبنياً على الأدلة من أجل رسم سياسات تربوية أكثر فعالية واستجابة.

العينة والمنهجية

أجرينا استطلاعاً إلكترونياً بين ٣ و١٩ حزيران ٢٠٢٥، شمل ٥١١ طالباً من طلاب الصف الثاني عشر المقبلين على الامتحانات الرسمية. أُنجز الاستبيان عبر منصة SurveyMonkey، وتمت معالجة البيانات وتحليلها باستخدام برنامجي Excel وSTATA. لتحقيق انتشار أوسع وتنوع في المشاركة، جرى توزيع الاستبيان عبر منصات التواصل الاجتماعي التابعة لمركز الدراسات اللبنانية (Facebook، Instagram، LinkedIn)، إضافة إلى شبكة وعلاقات المركز من التربويين، سعياً إلى الحصول على عينة تشمل مختلف المناطق والخلفيات المدرسية.

توزّعت العينة على ٧٩٪ طلاب لبنانيين، ١٥٪ سوريين، و٦٪ فلسطينيين وجنسيات أخرى. و٦٨٪ من العينة مسجّل في مدارس خاصة، مقابل ٢٨٪ في مدارس رسمية، و٤٪ في مدارس الأونروا. معظم المشاركين (٨٥٪) تتراوح أعمارهم بين ١٧ و١٨ عاماً، منهم ٦١٪ إناث و٣٩٪ ذكور، يغطون جميع المحافظات اللبنانية. ومن اللافت أن ٥٧٪ من المشاركين أشاروا إلى إقامتهم في مناطق متأثرة بشكل مباشر بالعدوان الإسرائيلي.

توزع العينة بحسب المحافظة

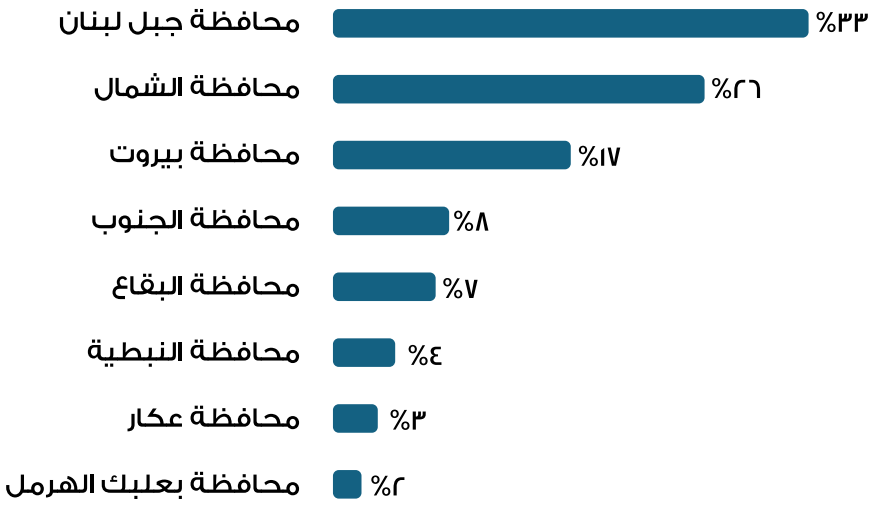

الجهوزية للامتحانات الرسمية

أظهرت نتائج الاستطلاع تراجعاً حاداً في مستويات الجهوزية للامتحانات الرسمية هذا العام، إذ أفاد ١٠٪ فقط من طلاب المدارس الخاصة و٦٪ من طلاب المدارس الرسمية بأنهم يشعرون بالاستعداد، في انخفاض ملحوظ مقارنة بنسب الأعوام السابقة (٢٧٪ و١٧٪ في ٢٠٢٤ و٤٨٪ و٢١٪ في ٢٠٢٣ على التوالي).

نسبة طلاب الصف الثاني عشر الذين أفادوا بأنهم جاهزون للامتحانات الرسمية

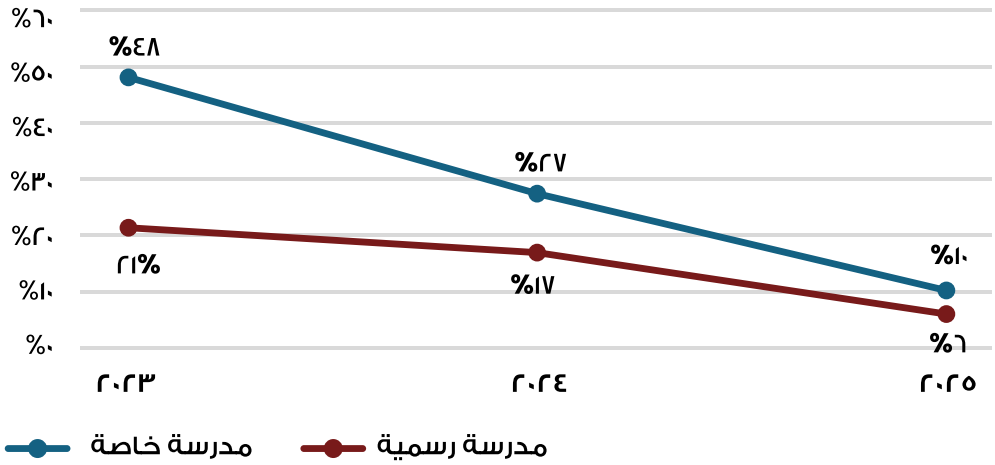

عند التدقيق في الأسباب الكامنة وراء هذا التراجع، يظهر بوضوح الدور المركزي للحالة النفسية؛ فقد أشار ٧٦٪ من الطلاب إلى أن الضغوط النفسية كانت العامل الرئيسي وراء عدم الاستعداد، تليها تأثيرات العدوان (٤٥٪)، وعدم استكمال المنهج (٤١٪)، وتراكم الفاقد التعليمي خلال السنوات الماضية (٤٠٪).

أسباب عدم جاهزية الطلاب لتقديم الامتحانات الرسمية

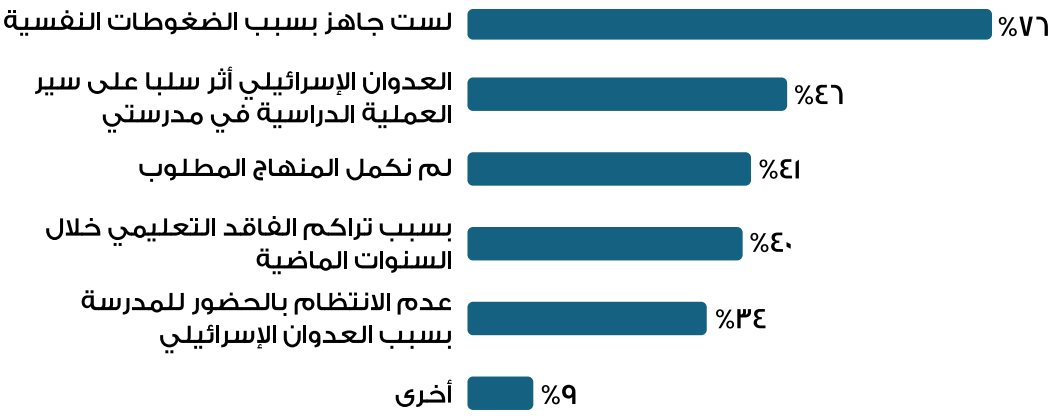

وفي السياق ذاته، وصلت مستويات الضغوط النفسية بين الطلاب إلى مستويات حرجة، إذ صرّح فقط ١٠٪ بأن حالتهم النفسية جيدة. وتوزعت مصادر الضغط النفسي بين التغييرات غير المتوقعة في نمط أو إجراءات الامتحانات (٨٤٪)، القلق من تجدد العدوان على مناطقهم (٧٦٪)، إضافة إلى الضغوط الاقتصادية الناجمة عن تدهور الأحوال المعيشية (٥٧٪).

العوامل المسببة للضغوط النفسية لدى الطلاب

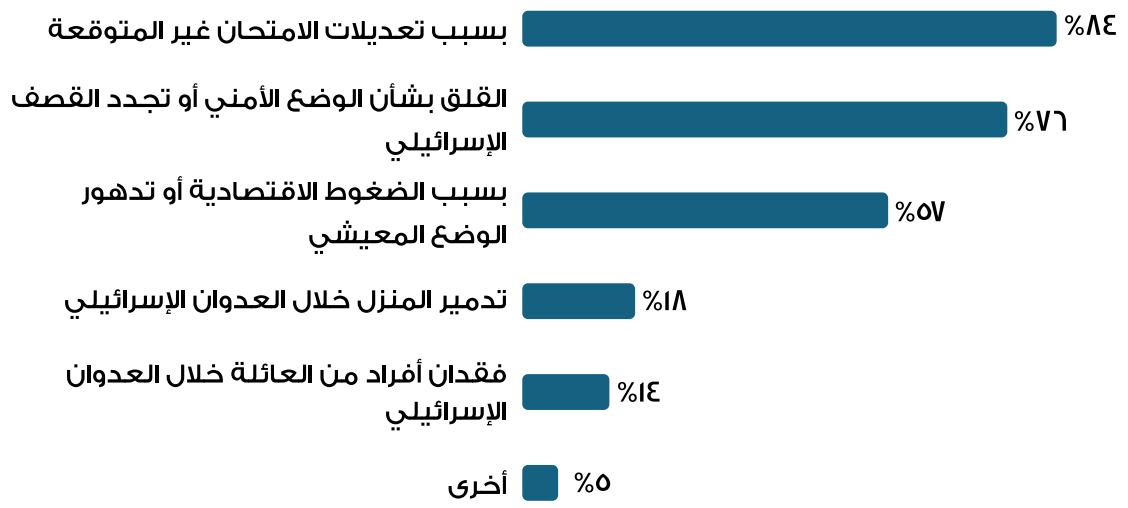

إلى جانب الضغوط النفسية، تراجعت جهوزية الطلاب للامتحانات بسبب عدم تغطية المنهج بالكامل الناتج عن الأزمات المستمرة والانقطاعات المتكررة في الدوام المدرسي. إذ أشار ٢٤٪ من طلاب المدارس الخاصة إلى أن مدارسهم غطت المنهج بالكامل، مقابل ١٢٪ فقط في المدارس الرسمية. وساهم إضراب الأساتذة لهذا العام، خصوصاً في القطاع الرسمي، في تعميق هذا التحدي، حيث أشار ٦٣٪ من الطلاب إلى أن هذه الإضرابات أثرت بشكل كبير على استعدادهم للامتحانات الرسمية.

كذلك، لم تَحظَ السياسات الوزارية الأخيرة بالقبول لدى الطلاب؛ فقد عارض ٩١٪ منهم إلغاء المواد الاختيارية من الامتحانات، وهو إجراء كان يتيح للطلاب سابقاً التركيز على مواد محددة لتخفيف العبء الأكاديمي. كما لقي قرار تقليص المنهج بنسبة ٤٠٪ دعماً محدوداً (٥٨٪ فقط)، في حين اعتبر ٦٪ فقط من طلاب المدارس الخاصة و١٪ من طلاب المدارس الرسمية أن تمديد العام الدراسي كان كافياً لاستكمال المنهج. تعكس هذه النتائج وجود فجوة واضحة بين التدخلات الوزارية وواقع الطلاب، وتبرز مدى قصور هذه الإجراءات عن تلبية حاجات الطلاب ودعم جهوزيتهم للامتحانات الرسمية.

جودة التعليم والأداء الأكاديمي

استمرت الفجوة بين طلاب المدارس الخاصة والرسمية فيما يتعلق بتقييمهم الذاتي لجودة التعليم والأداء الأكاديمي. أظهرت نتائج هذا العام أن طلاب المدارس الخاصة حافظوا على نسب أعلى في الإبلاغ عن أداء أكاديمي جيد مقارنة بنظرائهم في المدارس الرسمية خلال السنوات الثلاث الماضية. ففي المدارس الخاصة، تراجعت نسبة من أبلغوا عن أداء أكاديمي جيد من ٥٨٪ في ٢٠٢٣ إلى ٤٥٪ في ٢٠٢٤، قبل أن تعود وترتفع إلى ٥٣٪ في ٢٠٢٥. أما في المدارس الرسمية، فقد ارتفعت النسبة من ٣٠٪ في ٢٠٢٣ إلى ٤٣٪ في ٢٠٢٤، لتستقر عند ٤٢٪ في ٢٠٢٥. مع ذلك، بقي القطاع الرسمي، الذي يعاني من ضعف مزمن في التمويل والموارد وغياب الدعم المؤسسي، أقل قدرة على مواجهة الأزمات والتكيف معها. ومن اللافت أنه على الرغم من التفاوت بين القطاعين، تبقى المعدلات المبلغ عنها منخفضة في كليهما، ما يبرز حجم التحديات التي تطال جميع الطلاب في القطاع التعليمي اللبناني.

نسبة طلاب الصف الثاني عشر الذين أفادوا بأن أدائهم الأكاديمي جيد

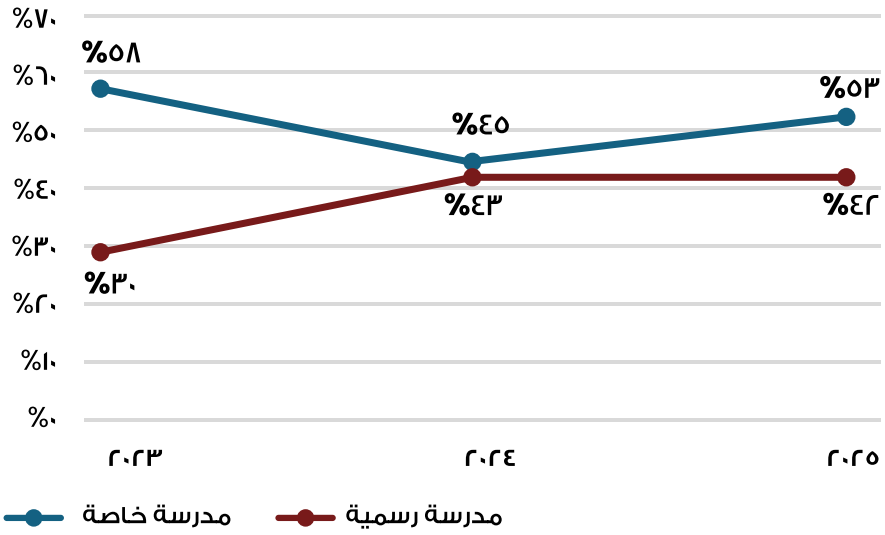

اتبعت تقييمات الطلاب لجودة التعليم نمطاً مماثلًا، حيث استمر طلاب المدارس الخاصة في تقدير جودة التعليم بشكل أعلى من نظرائهم في المدارس الرسمية عبر السنوات الثلاث. بلغت النسبة في المدارس الخاصة ٦٨٪ عام ٢٠٢٣، ثم انخفضت إلى ٥٢٪ في ٢٠٢٤ قبل أن تعود وترتفع إلى ٦٣٪ في ٢٠٢٥. أما في المدارس الرسمية، فقد بقيت النسبة منخفضة ومستقرة تقريباً عند ٣٩–٤٠٪. ويبرز هذا التفاوت المستمر المخاوف المتعلقة بجودة التعليم في القطاع الرسمي، ويؤكد أن الإشكالية لا تقتصر على الفروق القطاعية، بل أن جودة التعليم تبقى دون المستوى المأمول في كليهما.

نسبة طلاب الصف الثاني عشر الذين أفادوا بأنهم جاهزون للامتحانات الرسمية

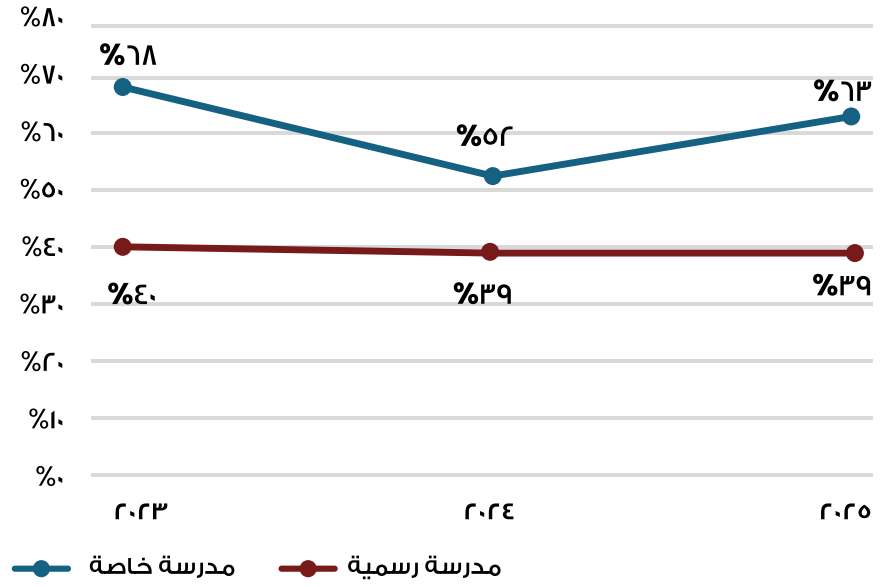

أما فيما يتعلق بالمعارف والمهارات التي اكتسبها الطلاب خلال السنوات الدراسية الثلاث الماضية، فقد أظهر طلاب المدارس الخاصة تحسناً في هذا المجال، حيث بلغت نسبة من أفادوا بأن ما اكتسبوه من معارف ومهارات يمكّنهم من إكمال مسيرتهم التعليمية ٢٦٪ في عامي ٢٠٢٤ و٢٠٢٥ مقارنة بـ١٠٪ فقط في ٢٠٢٣. في المقابل، بقيت ثقة طلاب المدارس الرسمية في هذا الجانب منخفضة وثابتة عند ١١٪ سنوياً، مما يعكس استمرار التحديات البنيوية، لا سيما في القطاع الرسمي، أمام انتقال الطلاب إلى مراحل تعليمية أعلى.

نسبة طلاب الصف الثاني عشر الذين أفادوا بأن لديهم المهارات والمعارف الكافية لمتابعة التعليم

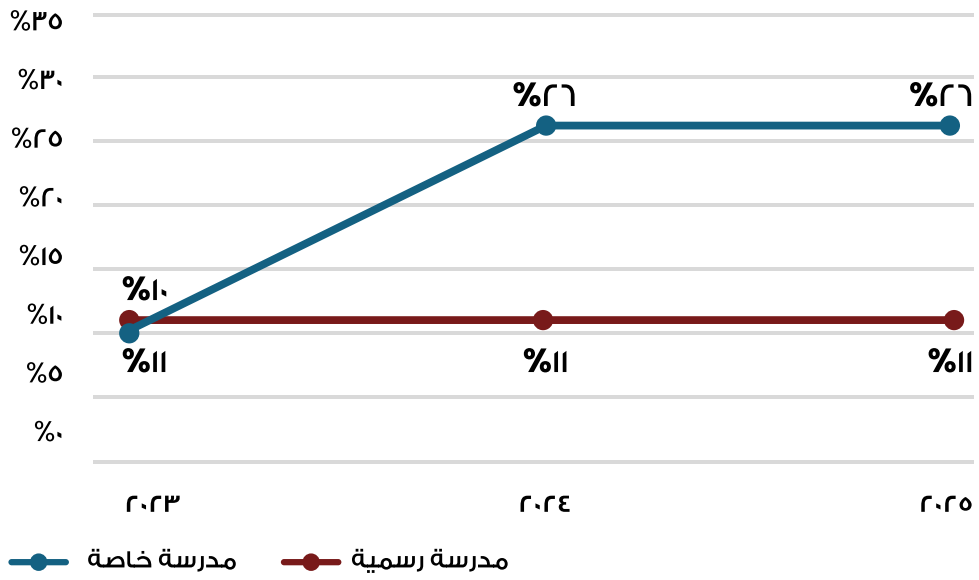

أثر العدوان الإسرائيلي

كما أُشير سابقاً، أدى العدوان الإسرائيلي خلال العام الدراسي ٢٠٢٤–٢٠٢٥ إلى تعطيل واسع للعملية التعليمية، مع تمركز الاضطرابات الأشد في المناطق المتأثرة مباشرة بالعدوان، مثل الضاحية الجنوبية لبيروت، ومحافظة البقاع، ومحافظة بعلبك. من بين المشاركين، أفاد ٥٧٪ بأنهم يقيمون في هذه المناطق. ومن بين هؤلاء، تعرض ٨٦٪ للنزوح القسري، وأفاد ٩٦٪ بانقطاع كلّي أو جزئي عن التعليم. توزعت مظاهر الاضطراب بين إغلاق المدارس مؤقتاً (٤١٪)، أو التحول إلى التعلم عن بعد عبر الإنترنت (٣٩٪)، أو الانقطاع التام عن التعليم (٩٪)، أو الانتقال إلى مدرسة أخرى (٩٪). فقط ١٪ قالوا إن العدوان لم يؤثر على تعليمهم.

بشكل مباشر أثر العدوان الإسرائيلي على الطلاب المقيمين في المناطق المتأثرة

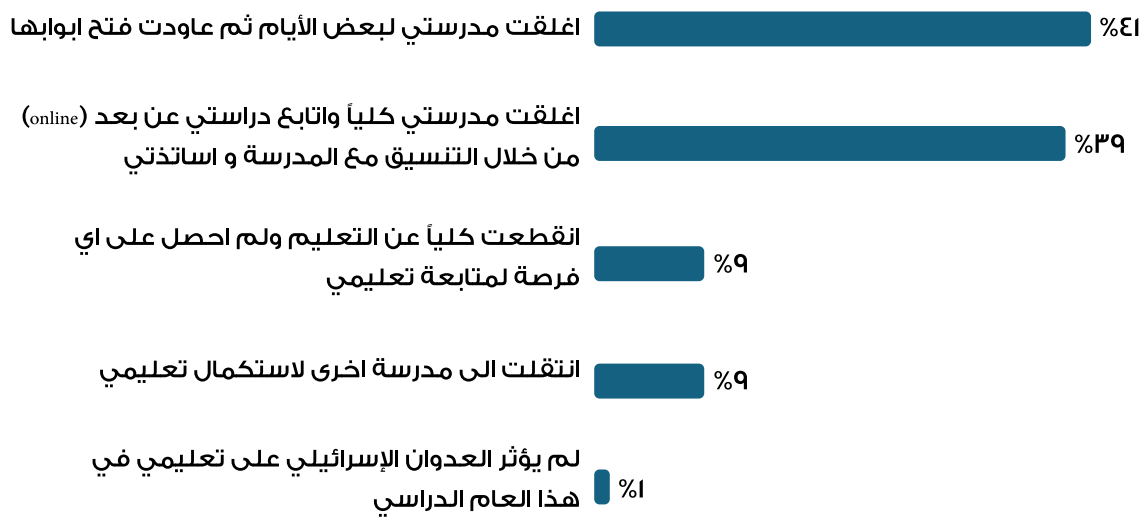

ورغم بروز الأثر الأكبر في المناطق المتضررة مباشرة، فإن الآثار النفسية للعدوان اتسعت لتشمل مختلف المناطق اللبنانية، بما فيها الضاحية الجنوبية لبيروت والبقاع وبعلبك. أبلغ الطلاب في كافة أنحاء لبنان عن تصاعد القلق من تجدد الغارات، وعانى كثيرون من فقدان أفراد من الأسرة أو تدمير منازلهم أو فقدان مصادر دخلهم الأساسية. وتضافرت هذه العوامل، مع الانقطاعات التعليمية السابقة، لتفاقم خسائر التعلم وتدهور الاستعداد الأكاديمي والصحة النفسية للطلاب على مستوى البلاد.

الخاتمة

تُبيّن هذه الدراسة أن الخسائر التعليمية المتراكمة، التي ازدادت بفعل العدوان الإسرائيلي الأخيرعلى لبنان، قد أسفرت عن تراجع عميق في جهوزية طلاب الشهادة الثانوية الرسمية للامتحانات. وتستمر الفجوات بين المدارس الخاصة والرسمية والانقطاعات المتكررة والضغوط النفسية العالية وضعف الاستعداد لمتابعة التعليم، في تشكيل تحديات مركزية أمام الطلاب في جميع أنحاء البلاد. رغم أن طلاب المدارس الخاصة أبلغوا عن أداء أكاديمي أفضل وتقدير أعلى لجودة التعليم وثقة أكبر بالمهارات المكتسبة، فإن النتائج تبقى غير مرضية في كلا القطاعين.

إضافةً الى ذلك، تشير نتائج الدراسة إلى أن السياسات التربوية الأخيرة لم تكن كافية لمعالجة هواجس الطلاب. فقد اعتُبرت إجراءات مثل إلغاء المواد الاختيارية، وتقليص المنهج، وتمديد العام الدراسي، غير كافية وزادت من قلق الطلاب وعدم رضاهم. كما تؤكد الآثار النفسية القوية المرتبطة بالعدوان والنزوح والصعوبات الاقتصادية، الحاجة الملحة لإدماج الدعم النفسي والاجتماعي ضمن الأطر التعليمية.

ومع ذلك، فإن التحديات التي عرضتها هذه الدراسة تعكس مشكلات بنيوية أعمق في النظام التعليمي اللبناني، إذ يعاني القطاع من ضعف في الاستثمار العام، وغياب التخطيط للطوارئ، والاعتماد على سياسات مرحلية لا تعالج جذور المشاكل التعليمية. إن استمرار عدم الجهوزية للامتحانات الرسمية للعام الثالث على التوالي يُعد انعكاسًا لفشل النظام التعليمي في التصدي لتلك الأزمات البنيوية. ومن دون إصلاح حقيقي يمس السياسات، ويعزز العدالة والجودة، ويرسخ قدرة القطاع التربوي على الصمود في وجه الأزمات المتراكمة، سيبقى الطلاب اللبنانيون معرضين لخطر الانقطاع عن التعليم عند كل أزمة مستقبلية. ولن تتحقق نهضة حقيقية في النظام التعليمي إلا عبر معالجة الأسباب الجذرية لهذا الواقع المتفاقم.

المراجع

Ministry of Education and Higher Education (2024a). Fact sheet on education response plan Reporting Period 7—11 October, 2024. https://www.mehe.gov.lb/ar/SiteAssets/Lists/News/AllItems/MEHE%20Fact%20Sheet%20on%20Education%20Emergency%20Response-Final-ENG.pdf

Ministry of Education and Higher Education (2024b). Fact sheet on education response plan Reporting Period 14—20 October, 2024. https://www.mehe.gov.lb/ar/SiteAssets/Lists/News/AllItems/MEHE%20Fact%20Sheet%20on%20Education%20Response%20Plan-%20Week2%20-%20Final%20(1).pdf